الفصل السّابع

"حجج المعارضين للإعجاز العلميّ، وقول على قول

كارع السّيّد غنيم"

obeikandl.com

obeikandl.com

أوّلا-حول النّصّ:

*عنوان النّصّ موضوع النّقد هو"الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة ""١" من إعداد الأستاذ الدّكتور كارم السّيد غنيم: "أستاذ علم الحشرات -جامعة الأزهر- أمين عام جمعية الإعجاز العلميّ في القرآن والسّنّة" المقال كبير الحجم نسبيًّا يعرض فيه الكاتب لمحورين أساسيّين:

المؤيّدون للإعجاز العلميّ في القرآن والسّنّة وفئاتهم ومقتطفات من أقوالهم، المعارضون للإعجاز العلميّ وفئاتهم ومقتطفات من أقوالهم، ثُمّ الرّدود على اعتراضاتهم، ويذكر الكاتب عشرة اعتراضات على الإعجاز العلميّ، ويقوم بالرّد عليها؛ لتأييد فكرة الإعجاز العلميّ في القرآن والسّنّة.

*قمتُ بعرض فقرات من المقال تختصّ بنقد الكاتب لحجج المعارضين للإعجاز العلميّ، ومن ثَمّ أوردتُ تعقيبي عليها.

*ما دواعي اختيار مقال "الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم بين القبول والمعارضة" دون غيره؟

إجابتي: إنّ هذا السّجال -بالنّقاط الّتي أثارها اللكاتب في مقاله- يتكرّر كثيرًا، ويشكّل خطابًا إسلاميًّا تقليديًّا شعبيًّا منتشرًا في الإعلام المكتوب والمرئيّ، والمقال المذكور يتطرّق لمعظم الاعتراضات الّتي يتبنّاها المعارضون للإعجاز العلميّ انطلاقًا من ذات المرجعيّة العقديّة العقائديّة الإسلاميّة المشتركة مع المؤيدين للإعجاز العلميّ، وقد حاولتُ أن تمثّل الفقرات المختارة أفكارًا ومواضيع متماسكةً متمايزةً عن مجاوراتها.

ثانيًا- حول طريقة مقاربة النّصّ "٢":

*جاءت مقاربتي للنّصّ على شكل تعقيبٍ نقديٍّ يتناول مصالح كلّ فقرةٍ منه على حدةٍ، ولا أستخدم مفهوم "المصلحة" هنا كنقيضٍ للمبادئ أومرادف للأنانيّة، بل هي مفهومٌ نسبيٌّ، وكلّ كينونةٍ أونصٍّ يعرض لمصالح أكثر أو أقلّ صلاحيّةً من بعضها البعض.

*التّعقيب:

يتناول عدّة محاور، ويسعى للإجابة على تساؤلاتٍ من قبيل:

_ هل المصالح المعروضة انغلاقيّة أم انفتاحيّة؟ هل هي مصالح عزلةٌ أم صراعٌ أم تعاونٌ أم توحيد؟ في طريقة لتحسّس حالة التّواصل مع المصالح المعروضة بمقياس عامّة النّاس.

_ ما المرجعيّة الّتي تستند إليها المصالح المعروضة؟ هل هيمرجعيّة عقديّة عقائديّة فئويّة "٣" تختصّ بالمؤمنين، أم هي مرجعيّة عامّة النّاس أو عامّة أهل الاختصاص بما يشمل، ويلزم النّاس جميعهم؟ وهذا التّصنيف على مستوى المرجعيّات لمصالح النّصّ يعكس الاختلاف بين المصالح العقائديّة وبين المصالح العلميّة، والتّمايز بين حقل الدّين وحقل العلم.

_ هل المصالح المعروضة برهانيّة، أم أنّها منافيةٌ للبرهان العلميّ الموضوعيّ؟ هل تلزم الآخرين، وتعرض لازدواجيّة المعايير أم لا؟

ثالثًا- التّطبيق:

سوف أقسّم النّصّ إلى أربع عشرة فقرة: الفقرات الأربع الأوَل تعرض لفئات المعارضين للإعجاز العلميّ، وهم ثلاث فئات، أمّا الفقرات العشرة التّالية، فهي تعرض لحجج المعترضين على الإعجاز العلميّ والنّصّ يعرض لعشرة منها.

الفقرة الأولى:

*النّصّ: "فئات المعارضين هم فئاتٌ ثلاث، من حيث الدّوافع إلى المعارضة: الفئة الأولى: تخشى على مصداقيّة القرآن إذا ارتبط تفسيره

بالعلوم الكونيّة، وما بها من معلوماتٍ متغيّرة؛ ممّا ينعكس على استقرار التّفسير العلميّ للقرآن الكريم، كما يخشون على تطويع معاني الكلمات ومدلول الآيات بما وصلت إليه العلوم الكونيّة، وهوما يُعرف عند المعارضين بـ "ليّ أعناق الآيات القرآنيّة"؛ فهم يرفضون الإعجاز العلميّ والتّفسير العلميّ من باب الحرص على القرآن الكريم، ونطلق عليهم "فئة المتخوّفين."

التّعقيب:

_ المصالح المعروضة في النّصّ تعرض لقرائن مشهورةٍ متكرّرةٍ، يقبلها المعارضون للإعجاز العلميّ أنفسهم "بدافع الحرص على القرآن".

والمصالح المعروضة تتفهّم دوافع ما تصفهم "فئة المتخوّفين" لاحظ: تخشى على مصداقيّة، كما يخشون على، من باب الحرص على القرآن الكريم، ورغم أنّ المصالح المعروضة تقدّم نفسها احتوائيًّا، وتتفهم إيجابيًّا إلى حدّ ما سبّب "رفض الإعجاز العلميّ " إلّا أنّها تعرض كذلك لمصالح صراعيّةٍ مع فئة المتخوّفين، لاحظ: "يرفضون الإعجاز العلميّ - ونطلق عليهم- المعارضين- فئة المتخوّفين."

الفقرة الثّانية:

*النّص: "والفئة الثّانية لا ترى دليلًا على الإعجاز العلميّ، ولا ترى في كلمة "الكتاب" وكلمة "شيء" الواردتين بالآيات القرآنيّة دليلًا على عكس

ما يراه المؤيّدين فعندهم معنى الكتاب هو"اللوح المحفوظ" أو"أمّ الكتاب"، وتكتفي هذه الفئة بالإعجاز اللغويّ والبيانيّ، وتقول: إنّ القرآن كتاب هدايةٍ وتشريع... ونطلق عليهم "فئة المعطّلين"

*التّعقيب:

_ المصالح المعروضة في النّصّ إشكاليّةٌ، فمثلًا: "اللوح المحفوظ - أمّ الكتاب" هي مفاهيم إشكاليّةٌ غامضة الدّلالة تختص بمرجعيّة العقد الفئويّ الإسلاميّ، ونلاحظ غلبة المصالح الانغلاقيّة ومصالح الصّراع "فئة المعطّلين -لا ترى- عكس ما يراه المؤيّدون".

-توصيف النّصّ للفئة الثّانية بـ "المعطّلين" يفترض ضمنًا أنّ الإعجاز العلميّ في القرآن حقيقةٌ، وأنّ هؤلاء يعطّلون حقيقةً مثبتةً، وينكرونها.

الفقرة الثّالثة:

*النّص: "والفئة الثّالثّة ترفض الإعجاز العلميّ؛ بسبب نظرتهم الإلحاديّة وكفرهم بالقرآن أو بسبب الحسد والحقد على القرآن؛ لتفوّقه على سائر الكتب الدّينيّة، وانفراده بالإعجاز الشّامل، ومنه الإعجاز العلميّ، ونطلق عليهم "فئة الجاحدين الحاقدين.""

*التّعقيب:

- المصالح المعروضة في النّصّ انغلاقيّةٌ تتراوح ما بين العزلة والصّراع، لاحظ مصالح الصّراع مع من تصفهم بـ"الجاحدين الحاقدين"، ولاحظ كذلك: "ترفض، كفرهم، الحسد، الحقد، الجاحدين"، ويستند النّصّ كذلك لمرجعيّةٍ عقديّةٍ عقائديّةٍ فئويّةٍ إسلاميّةٍ وفق منظورٍ معيّنٍ يرى أنّ القرآن "يتفوّق على سائر الكتب الدّينيّة، و"ينفرد بالإعجاز الشّامل"، ومن المتوقّع أن تعزل هذه المرجعيّة من يؤمن بها، ويواليها عن بقيّة البشر.

- المصالح المعروضة غير برهانيّة، وهي تعرض لازدواجيّة معايير، فالزّعم أنّ "القرآن يتفوّق على سائر الكتب الدّينيّة" أمرٌ لا يقرّه عموم البشر، أوعموم أهل الاختصاص في العقائد والعلم، وإن كان يحظى بقبولٍ واسعٍ ضمن فئويّة المؤمنين به، وهذا لا يعني أبدًا أنّ القرآن الكريم أقلّ شأنًا من الكتب الأخرى، ولكن القول بتفوّق القرآن الكريم أمرٌ إشكاليٌّ خارج إطار الفئويّة الإسلاميّة، ومن الصّعب حسمه الآن أو في المستقبل البعيد، لا بل إنّ هذا الحسم غير ضروريٍّ أبدًا؛ فالتّنوّع العقائديّ قانونٌ اجتماعيٌّ، ومن سنن الله في خلقه.

والعبارة التّالية أيضًا: "أنّه ينفرد بالإعجاز الشّامل ومنه العلميّ" تتطلّب وجود قرائن كافيةٍ مستخلصة من دراسةٍ مقارنةٍ بين الكتب الدّينية، وهو تعبيرٌ يتجاوز الأناجيل وأسفار العهد القديم؛ ليشمل كلّ

دين، والمصالح المعروضة في النّصّ تلزم الآخرين بوجهة نظرها من خلال توصيفهم إطلاقاً بـ "الجاحدين الحاقدين".

_ يقرّ عموم البشر بوجود "من يرفض الإعجاز العلميّ بسبب نظرتهم الإلحاديّة وكفرهم بالقرآن" بمعنى رفضهم للقرآن ككتاب عقيدةٍ من مصدر إلهي، وأمرٌ طبيعيٌّ أنّ من لا يؤمن بوجود إله، فسيرفض النّظر للقرآن ككتاب من مصدرٍ إلهيٍّ، وكتحصيل حاصلٍ سوف يرفض "الإعجاز القرآنيّ" بكلّ وجوهه من دون الدّخول في التّفاصيل.

الفقرة الرّابعة:

*النّصّ: "وبعد فإنّنا لا نتزعج من موقف المعارضين للإعجاز العلميّ، كما قلنا من قبل، وسوف ندير حوارًا معهم؛ لنذكر أقوال بعضهم، ونردّ عليها. وعمومًا، فإنّنا نحسن الظّنّ بالفئة الأولى، ولا نتّهمهم، ولا نقول لهم: "قولكم حقّ أريد به باطل".

وأمّا الفئة الثّانية فنقول لهم: لقد سبقكم من لم يكونوا مقتنعين بالإعجاز العلميّ، وبعد الدّراسة والتّأمّل والاطّلاع والرّجوع إلى المتخصّصين في العلوم الكونيّة أدركوا الصّواب، واقتنعوا بالإعجاز العلميّ، فسيروا على نهجه؛ لتصلوا إلى ما وصلوا إليه. وأمّا الفئة الثّالثة، فنقول لهم: أعملوا عقولكم، وتخلّوا عن الاعتراض والعناد، وتخلّصوا من الحسد والأحقاد، وسوف تتجلّى لكم الحقيقة،

وتدركون الصّواب، وتناولوا موضوع الإعجاز العلميّ بتفكيرٍ علميٍّ مجرّد، كما فعل بعض مشاهير العلماء الغربيّين غير المسلمين، فأدركوا معجزة القرآن، وآمنوا بأنّه ليس من صنع البشر، وأنّه فوق قدرات البشر."

*التّعقيب:

- المصالح المعروضة تتراوح بين الصّراع والتّعاون، فهي تستخدم أسلوبًا متصالحًا، وتعطي إشارات انفتاح مع توتّرٍ منخفضٍ في محاولتها؛ لإقناع الخصوم بصوابيّة وجهة نظرها ،لاحظ هذه العبارات- "لا ننزعج من موقف المعارضين، وسوف ندير حوارًا معهم، نحسن الظّنّ بالفئة الأولى ولا نتّهمهم". ولكن في العموم يعرض النّصّ لمصالح إشكاليّةٍ خلافيّةٍ بالنّسبة لعموم النّاس حيث تدعو الفئة الثّانية والثّالثة إلى مراجعة وجهة نظرهم أسوة بـ "مشاهير العلماء الغربيّين" لاحظ عبارات "أدركوا الصّواب واقتنعوا، تخلّوا عن الاعتراض والعناد، تخلّصوا من الحسد والأحقاد". المصالح المعروضة تقدّم قرينتها على وجود الإعجاز العلميّ في حالة الفئة الثّانية: "وبعد الدّراسة والتّأمّل والاطّلاع والرّجوع إلى المتخصّصين في العلوم الكونيّة أدركوا الصّواب، واقتنعوا بالإعجاز العلميّ" وهذا ليس قرينةً؛ لكوننا نتكلّم عن "مختصّين في العلوم الكونيّة" بصيغة هلاميّةٍ غير محددة فهؤلاء يقدَّرون ربّما بالملايين، فيجب تحديد نوع التّخصّص العلميّ، وأخذ رأي عامّة أهل الاختصاص في الأمر بغضّ النّظر عن خلفيّاتهم الثقافية والدّينية، بعد اطّلاعهم على

النّصوص القرآنيّة، وهنا عليهم أن يكونوا أيضًا من العارفين باللغة العربيّة، أو يكونوا ممّن توافر لديهم ترجمات للقرآن موثّقة والمتجرّدين عن خلفيّاتهم، وهي غالبًا إسلاميّةٌ بحكم معرفتهم باللغة العربية والجغرافيا...إلخ.

- المصالح المعروضة الّتي يقدّمها النّصّ على وجود الإعجاز العلميّ في حال الفئة الثّالثة: "أعملوا عقولكم، وتخلّوا عن الاعتراض والعناد، وتخلصوا من الحسد والأحقاد، وسوف تتجلّى لكم الحقيقة، وتدركون الصّواب" وهي مصالح ذات توظيفٍ خطابيٍّ سجاليٍّ عقائديٍّ، وليست في سياق توظيفٍ علميّ موضوعيّ.

- بالوقوف عند المصالح المعروضة في "وتناولوا موضوع الإعجاز العلميّ بتفكيرٍ علميٍّ مجرّد، كما فعل بعض مشاهير العلماء الغربيّين غير المسلمين؛ فأدركوا معجزة القرآن، وآمنوا بأنّه ليس من صنع البشر، وأنّه فوق قدرات البشر." فتعبير "بعض مشاهير العلماء الغربيين غير المسلمين" يفتقد إلى الدّقة والتّعيين، وحتّى في حال وجودهم هذا لا يكفي؛ لتأكيد المصالح المعروضة في الإعجاز العلميّ، بل يجب أن يشمل ذلك عامّة أهل الاختصاص في هذا التّخصّص العلميّ، وبما لا ينافي التّجربة، وليس الاستناد لآراءٍ، وإن كانت صادرةً عن علماءٍ كبار -وبعد

التّدقيق في أهليّتهم لهذا التّوصيف- إلّا أنّها يجب أن تخضع لشروط البحث العلميّ والتّدقيق.

_المصالح المعروضة في حال الفئة الأولى "نحسن الظّنّ بالفئة الأولى، ولا نتّهمهم، ولا نقول لهم، "قولكم حقٌّ أُريد به باطل"، "فهي تعرض لشبهةٍ ازدواجيّة معايير، فمن جهة لا تتّهمهم، ومن جهة تصفهم بـ "قولكم حقٌّ أريد به باطل". لاحظ صيغة المبني للمجهول في الفعل أُريد، ولاحظ حركة الضمير في العبارة ، فمن هو الّذي يزوّر قول الحقّ؟!

- المصالح المعروضة في مجمل النّصّ تقدّم جوهرًا إعجازيًا ثابتًا، وكلّ من يخالفها فهو: باطلٌ، معاندٌ، حاسدٌ، حاقدٌ، قليل الخبرة والاطّلاع، مُتّهمٌ ..إلخ .

الفقرة الخامسة:

*النّصّ: ردود على المعترضين:

الاعتراض الأوّل: ويتمثّل في قولهم: القرآن كتاب هدايةٍ وتشريعٍ، وليس كتابًا للعلوم والمعارف الكونيّة. كلّ المشتغلين بدراسة الإعجاز العلميّ يؤمنون بأنّ القرآن الكريم كتاب عقيدةٍ وتربيةٍ وتشريعٍ، وهو بعيدٌ كلّ البعد عن تناول العلوم بمنهجيّة التّدريس، ويرون أنّ الآيات القرآنيّة في المسائل الكونيّة إنّما جاءت لتلفت النّظر إلى ملكوت السّموات والأرض، وتدعم الإيمان بالله المبدع الخالق القادر، وحيث إنّها نزلت بالحقّ من

لـدن علـيمٍ خبيرٍ، فلابـد أن تكـون حاملـةً لحقـائق؛ فهي ليسـت مجـرّد عباراتٍ إنشائيّةٍ وصفيّةٍ تناولت ظاهر الأمور.

*التّعقيب:

- المصـالح المعروضـة صـراعيّةٌ مـع فئـة مـن المعترّضـين على الإعجـاز العلميّ، انغلاقيّةٌ مع توتّرٍ عالٍ، لاحظ: "كلّ المشتغلين، بعيد كلّ البعد، لابدّ أن، ليست مجرّد".

- المصالح المعروضة في "وحيث إنّها نزلت بالحقّ من لدن عليمٍ خبيرٍ" مستحيلة البرهان بمقاييس علميّةٍ أو مقاييس عموم البشر، هذا مُتفهّم حيث إنّ المصالح المعروضة هي أصلًا ذات مرجعيّةٍ عقديّةٍ عقائديّةٍ فئويّةٍ. ولكن المصالح المعروضة تنافي البرهان في: "وحيث إنّها نزلت بالحقّ من لدن عليمٍ خبيرٍ، فلا بدّ أن تكون حاملةً لحقائق، فهي ليست مجرّد عباراتٍ إنشائيّةٍ وصفيّةٍ تناولت ظاهر الأمور." فإذا سلّمنا كمؤمنين أنّها نزلت بالحقّ من الله -تعالى- ، فهذا لا يعني بالضّرورة أنّها تتعرّض لحقائق من وجهة نظرٍ علميّةٍ، فقد تكون حقائق عقائديّة واجتماعيّة وأخلاقيّة.. إلخّ". ولا يصحّ تقليل شأن الحقائق من خارج إطار العلم بالخاصّة، ووصفها "بمجرّد عباراتٍ إنشائيّةٍ وصفيّةٍ تتناول ظاهر الأمور"، وصف النّصّ للآيات القرآنيّة بأنّها حاملة لـ"حقائق علميّةٍ من لدن عليمٍ خبيرٍ"، ونؤكّد هنا على صفة العلميّة المنسوبة للحقائق

فهي لا تُؤخذ كاستنتاجٍ نظريٍ، ولكنّ الحكم فيها يعتمد كلّيّةً على عمّا تعرضه هذه الآيات بعد مناقشتها والنّظر فيها.

الفقرة السّادسة:

*النّصّ: الاعتراض الثّاني: ويتمثّل في قولهم: الاهتمام بالإعجاز العلميّ يصرف اهتمام النّاس بعلوم القرآن التّقليديّة، والتّفسير العلميّ يتعارض مع منهج التّفسير.

الإعجاز العلميّ لا يخرج عن كونه وجهًا من وجوه الإعجاز القرآنيّ، ودراسته تعتبر إضافةً إلى علوم القرآن، والمشتغلون به فريقٌ من العلماء يتعاونون مع سائر المشتغلين بدراسة علوم القرآن، وكلٌّ في مجاله يعمل دون أن يتطاول فريقٌ على فريق، أو يتعالى حتّى لا تتكرّر ظاهرة التّركيز المعرفيّ الّتي اختصّت بها وحدة اللغة والبيان مما ترتّب عليه حجب سائر وجوه الإعجاز، ومنها الإعجاز العلميّ. أمّا التّفسير العلميّ فلا تعارض بينه وبين التّفسير التّقليديّ، بل هو إضافةٌ إليه؛ ممّا يزيد الاتّساع في فهم القرآن، خاصّةً في الآيات الكونيّة الّتي كانت تدخل في دُوَّامة التّأويل والمجاز وأحداث الآخرة.... إلخ. "انتهى.

*التّعقيب:

- المصالح المعروضة في النّصّ تتراوح بين الصّراع والتّعاون، لاحظ المصالح الصّراعيّة مع فئة من المعارضين للإعجاز العلميّ: الّذين يقولون

"إنّ الاهتمام بالإعجاز العلميّ يصرف اهتمام النّاس بعلوم القرآن التّقليديّة، والتّفسير العلميّ يتعارض مع منهج التّفسير" لاحظ المصالح الصّراعيّة في العبارة المفتاحيّة التّالية: "الاعتراض الثّاني". أمّا مصالح التّعاون، فنلمسها كون النّصّ يتفهّم إيجابيًّا وجهة نظر من يردّ على اعتراضهم، ويحاورهم لاحظ: "دراسته تعتبر إضافةً إلى علوم القرآن، يتعاونون مع سائر المشتغلين، فلا تعارض بينه وبين التّفسير التّقليديّ".

_ إنّ قول المعارضين للإعجاز العلميّ: "الاهتمام بالإعجاز العلميّ يصرف اهتمام النّاس بعلوم القرآن التّقليديّة، والتّفسيرالعلميّ يتعارض مع منهج التّفسير" ليس دقيقًا، والعلاقة بينهما ليست حكرًا على صرف الاهتمام، وما يعرضه النّصّ في ذلك مقبولٌ بالمجمل. أمّا مصالح هذه العبارة: "أما التّفسير العلميّ، فلا تعارض بينه وبين التّفسير التّقليديّ" فهذا يتعلّق بالمقصود من التّفسير العلميّ والتّفسير التّقليديّ، وما يقرّره النّصّ، لاحظ الأسلوب الخبريّ في هذه العبارة هو مثار جدل والعلاقة بينهما يجب أخذها على النّسبيّة والاحتماليّة والتّعيين.

_ إنّ مصالح عبارة: "الإعجاز العلميّ لا يخرج عن كونه وجهًا من وجوه الإعجاز القرآنيّ" مقولةٌ خلافيّةٌ بين المسلمين أنفسهم، فقد وجد العديد من رجال الدّين والمفسّرين يعارضون الإعجاز العلميّ، وكونه أحد وجوه الإعجاز القرآنيّ: "الإمام الشّاطبيّ، رشيد رضا، أمين الخولي، محمود

شلتوت، عبّاس محمود العقّاد، بنت الشّاطئ، د.خالد منتصر، خالص الجلبيّ ..إلخ"، وبرهان مصالح العبارة يجب أن يستند لمرجعيّةٍ عامّة النّاس وعامّة أهل الاختصاص، وليس لمرجعيّةٍ عقديّةٍ عقائديّةٍ فئويّة.

الفقرة السّابعة:

* النّصّ: "الاعتراض الثّالث: ويتمثّل في الاتّهام بعدم التّقيّد بالمفهوم اللغويّ الصّحيح للنّصّ القرآنيّ، وإبعاد الكلمات القرآنيّة عن معانيها فيما يعرف: بـ"ليّ أعناق الآيات"، وهي عبارةٌ يردّدها المعارضون، بل ويكثرون من ترديدها.

والرّدّ عليه: أنّه من المعلوم أنّ هناك قواعد وضوابط ومنهجًا يجب أن يلتزم به المشتغلون بدراسة الإعجاز العلميّ وبالتّفسير العلميّ للقرآن الكريم، ومن أهمّها: احترام كافّة الأمور اللغويّة، ومن الضّروريّ أيضًا أن يتعاون علماء الكونيّات وعلماء الدّين وعلماء اللغة معًا في تلك الدّراسات القرآنيّة وفق منهج الدّراسة المتّفق عليه. وإذا كان هناك من يخرج عن تلك القواعد والضّوابط، فليس ذلك حجّة على الملتزمين بمنهجيّة الدّراسات القرآنيّة".

* التّعقيب:

_ المصالح المعروضة في النّصّ تتراوح بين التّوحيد والصّراع، وجاء الحكم بالتّوحيد كونها مما يقبله عامّة النّاس في ضرورة احترام قواعد اللغة

وعدم ليّ أعناق الآيات، وكذلك كون المصالح المعروضة تتفهّم إيجابيًّا دعاوى الاعتراض، وتقبل ادّعاءهم من ناحية الشّكل، لاحظ مصالح: "أنّه من المعلوم أنّ هناك قواعد وضوابط ومنهجًا يجب أن يلتزم به المشتغلون بدراسة الإعجاز العلميّ، وإذا كان هناك من يخرج عن تلك القواعد والضّوابط؛ فليس ذلك حجّة على الملتزمين بمنهجيّة الدّراسات القرآنيّة." والنص كذلك يعرض لمصالح صراعيّة مع معارضي الإعجاز العلميّ لاحظ- "الاعتراض الثالث -في الاتّهام- بليّ أعناق الآيات -يرددها المعارضون- فليس ذلك حجة".

_ المصالح المعروضة تعتمد معايير عامّة يقرّها أهل الاختصاص سواء من المعارضين أوالمؤيّدين للإعجاز العلميّ في ضرورة التّقييد بقواعد الدّلالة واللغة وعدم ليّ عنقها؛ لتوافق رأيًا سابقًا، لاحظ مصالح هاتين العبارتين: "ومن أهمّها: احترام كافّة الأمور اللغويّة، وإذا كان هناك من يخرج عن تلك القواعد والضّوابط فليس ذلك حجّة على الملتزمين بمنهجيّة الدّراسات القرآنيّة."

الفقرة الثّامنة:

*النّصّ: "الاعتراض الرّابع: ويتمثّل في الخوف من الرّبط بين تفسير القرآن وبين المعارف الكونيّة المتغيّرة، ممّا يؤثّر على مصداقيّة القرآن. إذا أحسنّا الظّنّ بالمتخوّفين المعترضين، ولا نقول عن تخوّفهم: حقٌّ أريد

به باطل،.. ولا نقول: إنّ ذلك التّخوّف ادّعاءٌ ماكرٌ مقصودٌ به صرف المسلمين عن جانب مهمّ من جوانب الإعجاز تكشّف لهم في عصر التّقدّم العلميّ،.. سنعتبر التّخوّف حرصًا منهم على كتاب الله، سوف نردّ بموضوعيّةٍ وعقلانيّةٍ على قولهم: إنّ المعارف الكونيّة -خاصّة الفروض والنّظريّات- قابلة للتّغيير، وهناك خطورةٌ على معاني القرآن الكريم وتفسيره من الرّبط بتلك المتغيّرات؛ لأنّ ذلك سيؤدّي إلى تبدّل التّفسير حسب ما يجد من المعارف العلميّة.... ونقول لهم: إنّ المشتغلين بالتّفسير العلميّ للقرآن الكريم حريصون على الاستعانة بالمعارف المستقرّة الّتي وصلت إلى مرحلة الحقائق والقوانين واليقين، أو كانت نظريّاتٍ راجحةً. وعلى فرض التّغيير في تلك المعارف العلميّة المستخدمة في التّفسير، فلا ضير في ذلك؛ حيث إنّ الأمر لا يعدّ أن يكون اجتهادًا في التّفسير يمكن تصحيحه بتفسيرٍ آخر على ضوء المعارف العلميّة. وسنجد أنّ النّصّ القرآنيّ استوعب تلك الكشوف الجديدة: حيث جاءت النّصوص بألفاظٍ جامعةٍ تحيط بكلّ المعاني الصّحيحة في مواقفها الّتي قد تتابع في ظهورها جيلًا بعد جيل، إمّا بالإضافة أو الزّيادة، وإمّا بالتّعديل أوالحذف. واتّساع مدلول دلائل الإعجاز القرآنيّ البيانيّ علمًا بأنّه لا يمكن أن يقع ذلك التّغيير إلّا إذا كان هناك خللٌ في فهم النّصّ القرآنيّ أو خللٌ في قطعيّة العلم. والمشتغلون بعلوم القرآن يعلمون أنّ تفسير القرآن الكريم جهدٌ بشريٌّ واجتهادٌ فكريٌّ؛ لهذا نجد المفسّرين يختلفون

في تفسير بعض النّصوص القرآنيّة بسبب تنوّع معاني الكلمات، ومثال ذلك: "البحر المسجور" فمعنى مسجور: مملوء، كما أنّ من معانيها الملتهب، والاختلاف قد يكون بسبب القواعد النّحويّة، ومثال ذلك- "فاغسلوا وجوهكم وأيديكم وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين" فمن المفسّرين من يعطف "أرجلكم" على "وجوهكم" "وأيدكم"؛ فيرى غسل الرّجلين، ومنهم من يعطف أرجلكم على رؤوسكم؛ فيروا مسح الأرجل... وهناك أسبابٌ كثيرةٌ للاختلاف فيما بين وجهات نظر المفسّرين، وينعكس هذا بوضوحٍ على التّفاسير بحيث تظهر الخلافات فيما بينهم، وبالرّغم من هذا لم توجّه الانتقادات إلى المفسّرين في اختلافاتهم، ولم يطالب أحدٌ بالتّوقّف عن تفسير الآيات القرآنيّة.

المفسّرون عند تفسير آيات القرآن الكريم الكونيّة يكتفون بذكر النّصّ، أو يلجئون للتّأويل والمجاز، أو إلى تفسيرها بمعلوماتٍ علميّةٍ ضحلةٍ، فإذا جاء المتخصّصون في العلوم الكونيّة، وفهموا آيات القرآن على حقيقتها العلميّة، وفسّروها دون تأويلٍ، ووضّحوا معانيها بما يتناسب مع ثقافات العصر والانسجام الفكريّ والتّحدّي العلميّ والقبول العقليّ وقناعة الإنسان المعاصر الخاضع لسيطرة العلوم الكونيّة، هل ينظر إلى التّفسير العلميّ بعين الرّيبة وتوجّه له الاعتراضات وتثار حوله المخاوف؟... ولمصلحة من كلّ هذه المعوقات؟ نطمئن بأنّه لا خوف من تغيير المعلومات الكونيّة المستخدمة في التّفسير العلميّ، ما

دام النّصّ القرآنيّ ثابتًا ومحفوظًا، وأيّ أخطاءٍ في التّفسير يجب أن ترد إلى المفسّرين، دون أن يؤثّر هذا على مصداقيّة القرآن الكريم ومرحليّة التّفسير وتبديله أمرٌ واردٌ من أعمال البشر، فليس هناك تفسيرٌ مستقرٌّ يجمع عليه المسلمون في كلّ العصور إلّا إذا كان قد صدر عن رسول الله سيّدنا محمّد -صلّى الله عليه، وسلّم- وهذا لم يحدث، فإذا قام اعتراضٌ، وأثيرت المخاوف حول التّفسير العلميّ؛ فليكن كذلك مع كلّ التفاسير، ولتُحذف جميعها، وهذا أمرٌ غير مقبولٍ ولا معقول!!"

*التّعقيب:

_ المصالح المعروضة تتراوح بين الصّراع والتّعاون؛ فالمصالح المعروضة سجاليّةً مع فئة من المعارضين للإعجاز العلميّ، لاحظ المصالح الصّراعيّة في العبارات التّالية: "بالمتخوّفين المعترضين، بعين الرّيبة، وتوجّه له الاعتراضات، وتثار حوله المخاوف... ولمصلحة من كلّ هذه المعوّقات، وهذا أمرٌ غير مقبول...إلخ" ورغم هيمنة المصالح الصّراعيّة، لكن نجد في النّصّ حضورًا لمصالح التّعاون، لاحظ الانفتاح النّسبيّ قليل التّوتّر في العبارات التّالية: "إذا أحسنّا الظّنّ بالمتخوّفين المعترضين، سنعتبر التّخوّف حرصًا منهم على كتاب الله، سوف نردّ بموضوعيّةٍ وعقلانيّةٍ على قولهم."

_ ما يلي: "سنجد أنّ النّصّ القرآنيّ استوعب تلك الكشوف الجديدة حيث جاءت النّصوص بألفاظٍ جامعةٍ تحيط بكلّ المعاني الصّحيحة" يعرض لمصالح منافيةٍ للبرهان، فالقول: إنّ النّصّ القرآنيّ استوعب كلّ المعاني الصّحيحة للكشوف العلميّة ينافي البرهان من عدّة وجوه:

أوّلاً- من ناحية إثبات ذلك بقرائن موضوعيّةٍ يقبلها عموم النّاس وعموم أهل الاختصاص مع التّأكيد على كلمة "الصّحيحة" وكلمة "كلّ" وإمكانيّة التّحقّق من ذلك.

ثانيًا- المعاني الصّحيحة للكشوف العلميّة يُعبَّر عنها بلغةٍ علميّةٍ مضبوطةٍ، والنّصّ القرآنيّ لا يستخدم هذه اللغة العلميّة المصطلحيّة، والمصالح المعروضة في النّصّ تصفها بـ"ألفاظ جامعة محيطة" أي: أنّها عموميّةٌ مجازيّةٌ قابلةٌ لفهوم متعدّدة، وهذا يفتح الباب أمام التّفسير التّلفيقيّ للنّصّ القرآنيّ طالما أنّ "المعاني الصّحيحة للكشوف العلميّة" سابقة لعمليّة التّفسير.

الفقرة التّاسعة:

* النّصّ: "الاعتراض الخامس: ويتمثّل في ادّعائهم أنّه ليست هناك فائدةٌ من وراء الإعجاز العلميّ أو التّفسير العلميّ.

والردّ عليها: هذا اعتراضٌ في غاية السّطحيّة؛ حيث إنّ دراسة الإعجاز العلميّ تتعلّق بحقيقةٍ يجب التّعرّف عليها وتقريرها وإظهارها، وهذا أمرٌ

مطلوبٌ في كافّة فروع المعرفة وعلى وجه الخصوص عندما تتعلّق بالقرآن الكريم، ذلك الوحي الإلهيّ ومعجزة الإسلام... والفوائد من وراء معرفة الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم كثيرةٌ، وخاصّةً في مجال العقيدة والإيمان، وفي مجال الدّعوة والإقناع في عصر الثّقافات العلميّة. أمّا عن التّفسير العلميّ للقرآن الكريم، فهو بلا شكٍ توضيحٌ وبيانٌ لآيات القرآن الكونيّة؛ ممّا يحقّق فهمها على حقيقتها، بعيدًا عن متاهات التّأويل وتسطيحات تفسير الآيات الكونيّة... وذلك يحقّق مزيدًا من الفهم السّليم للقرآن الكريم، وهو أمرٌ مهمٌّ ومطلوب.

*التّعقيب:

- جاءت مصالح النّصّ مابين العزلة والصّراع؛ فالنّصّ يستند لمرجعيّةٍ عقديّةٍ عقائديّةٍ فئويّةٍ خاصّةٍ بالمسلمين دون غيرهم، لاحظ: "والفوائد من وراء معرفة الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم كثيرة، وخاصّةً في مجال العقيدة والإيمان" فهي فوائد تختصّ بجماعة المؤمنين؛ ممّا يبرّر الحكم بمصالح العزلة، ولكنّ النّصّ كذلك يعرض لمصالح صراعيّةٍ مع المعترضين الّذين لا يرون فائدةً من الإعجاز والتّفسير العلميّ، لاحظ: "الاعتراض الخامس: في ادعائهم أنّه ليست هناك، اعتراض في غاية السّطحيّة، فهو بلا شكٍّ توضيحٌ وبيان".

- ورد في النّصّ ما يلي: "والفوائد من وراء معرفة الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم كثيرة، وخاصّةً في مجال العقيدة والإيمان، وفي مجال الدّعوة والإقناع في عصر الثّقافات العلميّة."وورد كذلك: "أمّا عن التّفسير العلميّ للقرآن الكريم، فهوبلا شكٍّ توضيحٌ وبيانٌ لآيات القرآن الكونيّة، ممّا يحقّق فهمها على حقيقتها، بعيدًا عن متاهات التّأويل وتسطيحات تفسير الآيات الكونيّة... وذلك يحقق مزيدًا من الفهم السّليم للقرآن الكريم، وهو أمرٌ مهمّ ومطلوب."

المصالح المعروضة تفترض ثبوت الإعجاز العلميّ في صيغة الجزم "فهو بلا شكٍّ"، وهو أمرٌ إشكاليٌّ خلافيٌّ لم تورد المصالح المعروضة قرائن ثابتة عليه بمعايير عموم البشر وعموم أهل الاختصاص، ثمّ إنّ توظيف المصالح العلميّة عقائديًّا وفقًا لصيغة "الإعجاز والتّفسير العلميّ" أمرٌ إشكاليٌّ مثلما أنّه كان سببًا في زيادة يقين وإسلام البعض، كان كذلك سببًا في الارتداد عن الإسلام من قبل آخرين، وحتّى لوفرضنا جدلًا أنّ إسلام أحدهم تمّ استنادًا لـ" الإعجاز العلميّ" فهذا ليس "فائدة" من وجهة نظر عموم النّاس، بل هي فائدةٌ من منظورٍ عقديٍّ عقائديٍّ فئويّ.

الفقرة العاشرة:

*النّصّ: "الاعتراض السّادس: ويتمثّل في قولهم: ليس هناك دليلٌ على الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم؛ حيث يحتجّ بعض المعارضين في

معارضتهم بعدم وجود ما يدلّ على الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم، لا عقلًا ولا نقلًا، وبأنّ الرّسول -صلّى الله عليه، وسلّم- لم يذكر شيئًا عن ذلك:

أمّا الدليل العقلي فهو من الوضوح بحيث لا يخفى على أحد، ويتمثّل في القرآن الكريم بما اشتمل عليه من الآيات القرآنيّة الكونيّة الّتي تحمل الحقائق والإشارات العلميّة غير المسبوقة الّتي كانت مجهولةً وقت نزول القرآن، وبعد مضيّ مئات السّنين -في العصر الحديث على وجه التّحدّيد- أمكن لعلماء الكونيات -مسلمين وغير مسلمين- أن يتعرّفوا على بعضها، وأكّدوا مطابقة الاكتشافات لها، وأعلنوا ذلك في مؤتمراتٍ وندواتٍ عالميّةٍ، وسجّلوه في أبحاثهم، وأصبح هذا الأمر معروفًا ومستقرًّا، وتحرّرت عنه عشرات الكتب الّتي تبحث في الإعجاز العلميّ، فهل يُحتجّ المعترضون بعدم وجود دليلٍ عقليٍّ؟!

وهناك دليلٌ عقليٌّ نقليٌّ من منطلق الإيمان بمعجزة القرآن، فإذا كان القرآن معجزًا وإعجازه مطلق، فلماذا يقصّرونه على الإعجاز البيانيّ، ويحجبون عنه الإعجاز الموضوعيّ؟ وإذا سلّموا بالإعجاز الموضوعيّ، فلماذا يكون قاصرًا على جانب من المعارف دون الأخرى، ولماذا يحجبون عنه الحقائق المتعلّقة بالكونيّات، ويصرفون عنه جانب الإعجاز العلميّ؟ وعلّل في ذلك التّسلسل المنطقيّ ما يشكّل دليلًا عقليًّا.

أما الاحتجاج أنّ رسول الله -صلّى الله عليه، وسلّم- لم يذكر لصحابته شيئًا عن الإعجاز العلميّ، فمردود عليه بأنّه -صلّى الله عليه، وسلّم- أكّد على معجزة القرآن والصّحابة آمنوا بذلك، وبأنّ القرآن مطلق الإعجاز، ولم يدخلوا في تفاصيل وجوه الإعجاز إلى أن جاء العلماء فيما بعد، فقاموا بدراساتٍ تفصيليّةٍ للقرآن الكريم، ومنها وجوه الإعجاز القرآنيّ. أضف إلى ذلك أنّه لم يكن من الحكمة أن يحدّث الرّسول -صلّى الله عليه، وسلّم- صحابته عن الإعجاز العلميّ، ولم تكن ثقافتهم تستوعب ذلك بعد، وكانت المعارف الكونيّة والحقائق العلميّة مجهولة للعالم أجمع في ذاك الزّمن، ولو حدّثهم بذلك؛ لتصادم وعقولهم، وهو الحريص -صلوات الله، وسلامه عليه- على مخاطبة النّاس على قدر عقولهم؛ لهذا ترك الصحابة يفهمون الآيات الكونيّة الواردة في القرآن الكريم بالمعنى اللغويّ وبالمفهوم العام، تاركًا البيان والوضوح العلميّ والاكتشافات الكونيّة؛ لتُظهر وجه الإعجاز العلميّ للقرآن في الزّمن المناسب، وقد تحقّق ذلك بعد مرور ما يزيد على ألف عامٍ، وصدق الله العظيم القائل في القرآن الكريم: "ولتعلمنّ نبأه بعد حين" [سورة صاد]"

*التّعقيب:

_ يعرض النّصّ لمصالح صراعيّةٍ مع المعترضين على الإعجاز العلميّ الّذين لا يرون دليلًا على الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم، لاحظ:

"الاعتراض السّادس: يحتجّ بعض المعارضين في معارضتهم بعدم وجود، أمّا الاحتجاج بأنّ....إلخ".

- البرهان على وجود الإعجاز العلميّ في الكتب المقدّسة من عدمه يحدِّده عموم أهل الاختصاص في العلم والعقائد، والإعجاز العلميّ مثار جدلٍ كبير بين المسلمين أنفسهم، والمؤتمرات والنّدوات العالميّة وعشرات الكتب ليس برهانًا على الإعجاز العلميّ، فهناك بالمقابل كثيرٌ من المسلمين وغير المسلمين ينفون الإعجاز العلميّ، وإن كانت وجهة نظرهم أقلّ حضورًا على الصّعيد الإعلاميّ في الثّقافة العربيّة الإسلاميّة، وقد أغفلت المصالح المعروضة في النّصّ أعلاه الإشارة إليهم، وحسمت أمر قضيّةٍ أقلّ ما يُقال عنها خلافيّة، لاحظ:" أمكن لعلماء الكونيّات، مسلمين وغير مسلمين، أن يتعرّفوا على بعضها، وأكّدوا مطابقة الاكتشافات لها، وأعلنوا ذلك في مؤتمراتٍ وندواتٍ عالميّةٍ، وسجّلوه في أبحاثهم، وأصبح هذا الأمر معروفًا ومستقرًّا، وتحرّرت عنه عشرات الكتب الّتي تبحث في الإعجاز العلميّ، فهل يُحتجّ المعترضون بعدم وجود دليلٍ عقليّ؟!"

_ يعرض النّصّ لمصالح إطلاقيّةٍ تعوّض عن البرهان العلميّ بالبلاغة، لاحظ: "أمّا الدّليل العقليّ، فهو من الوضوح بحيث لا يخفى على أحدٍ، فهي تحسم أمر لم يتمّ حسمه، والإعجاز العلميّ ليس واضحًا، وليس ممّا يصحّ وصفه بـ "لا يخفى على أحد."

_ تعقيبًا على ما ورد في النّصّ: "فإذا كان القرآن معجزًا وإعجازه مطلق، فلماذا يقصّرونه على الإعجاز البيانيّ، ويحجبون عنه الإعجاز الموضوعيّ؟ وإذا سلّموا بالإعجاز الموضوعيّ، فلماذا يكون قاصرًا على جانب من المعارف دون الأخرى" نقول: إنّ الّذي يحدّد الاقتصار أو التّوسّع في وجهٍ إعجازيٍّ دون آخر من المفترض أن يكون هو النّصّ القرآنيّ ذاته وليس الرّغبة، فليس بالضّرورة إذا كان القرآن الكريم معجزًا ببيانه أن يكون إعجازه علميًّا أو عدديًّا أو يكون معجزًا في الجيولوجيا!

الفقرة الحادية عشرة:

*النّصّ: "الاعتراض السّابع: ويتمثّل في قولهم إذا كان الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم قد تكشّف لغير المسلمين من علماء الكونيّات، فلماذا لم يؤمن هؤلاء بالإسلام."

نردّ على ذلك بأنّ العلماء غير المسلمين الّذين تعرّفوا على بعض الإشارات الكونيّة الواردة في القرآن الكريم، ودرسوها على ضوء ما لديهم من المعارف العلميّة قرّروا بأنّ هذا الّذي جاء به القرآن الكريم لا يمكن أن يكون معارف بشريّة، وقت نزول القرآن، وأنّه خارج عن القدرات العقليّة لمن قال به، وهو سيّدنا محمّد -صلّى الله عليه، وسلّم- ومنهم من توقّف عند ذلك، ولم يربط الإعجاز العلميّ بالوحي الإلهيّ؛ لأنّ عقيدة

الإلوهيّة عندهم غير واردة، ولم ينتقلوا بهذا اليقين العقليّ إلى الاستدلال على الوحي وصدق القرآن والإيمان بالإسلام؛ لأنّ هذه التّداعيّات الفكريّة ليست سهلةً وبسيطةً، بل هي متشابكةٌ ومعقّدة. والهداية أو الجحود والقبول أو الرّفض، في العقيدة والإيمان بالله تخضع لأمورٍ ترتبط بالوجدان الّذي ينجذب نحو الغيبيّات، والأمر أوّلًا وأخيرًا مردّه إلى توفيق الله... ولنتذكّر قوله-سبحانه، وتعالى-: "إنّك لا تهدي من أحببت، ولكن الله يهدي من يشاء" [سورة القصص]، وقوله -تعالى- "وجحدوا بها، واستيقنتها أنفسهم ظلمًا وعلوًا" [سورة النّمل]... ولا ينفي هذا أنّ هناك من العلماء من أيقن بأنّ هذه الإشارات العلميّة فوق قدرات البشر، وآمن بأنّ القرآن وحيٌ من عند الله-سبحانه، وتعالى-، وأشهروا إسلامهم، سواء في مؤتمرات الإعجاز العلميّ للقرآن والسّنّة عبر السّنوات الماضية، أم في غيرها...

*التّعقيب:

_جاءت المصالح المعروضة في النّصّ صراعيّةٌ كونها تلزم الآخرين بمرجعيّتها العقديّة العقائديّة الفئويّة وفق فهم معيّنٍ للإسلام مرتبطٍ بالإعجاز العلميّ، فهي تصفهم بـ"جاحدين، ظالمين، غير مؤهّلين" وهي مصالح صراعيّةٌ مع: "فئة من المعترضين على الإعجاز العلميّ" لاحظ المصالح الانغلاقيّة المترافقة مع التّوتر العالي كذلك في:"الاعتراض السّابع، لا يمكن أن يكون معارف بشريّةً، وجحدوا بها ..إلخ" .

-المصالح المعروضة ترى "الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم" كجوهرٍ ويقينٍ ثابتٍ ملزمٍ للآخرين من مسلمين وغير مسلمين، والرّافضون له هم: "جاحدون ظالمون، لا يملكون الجرأة على اتخاذ القرار الصّحيح".

الفقرة الثّانية عشرة:

*النّصّ: الاعتراض الثّامن: ويتمثّل في قولهم إذا كان القرآن الكريم كلّ هذه الإشارات العلميّة، فلماذا لم يستفد منها المسلمون على مرّ العصور؟ نردّ على هذا الاعتراض في النّقاط الآتية:

١- إذا كان المسلمون الأوائل قد آمنوا بالإعجاز المطلق للقرآن الكريم، فقد انصرفوا إلى الإعجاز اللغويّ، وانشغلوا بدراسته مما جعلهم لايهتمّون بالإعجاز الموضوعيّ بعامّةٍ، كما اكتفوا بفهم آيات القرآن الكونيّة فهمًا لغويًّا يكفيهم فهم المقصود منها كبراهين على قدرة الله -سبحانه، وتعالى-.

٢- الإشارات العلميّة بآيات القرآن الكونيّة ليست من الوضوح بحيث يدرك مدلولاتها العلميّة غير المتخصّصين في العلوم الكونيّة الّذين لم تتوافر لهم المعارف والحقائق والعلوم. ولم يكن من السّهل على المسلمين الأوائل أن يتعرّفوا عليها كإشاراتٍ علميّةٍ قابلةٍ للبحث والاستقصاء العلميّ.

٣- المسار العلميّ للتّعرّف على ما تحمله الإشارات العلميّة للقرآن من معارف كونيّةٍ لا يبدأ من النّصوص القرآنيّة، ثُمّ يتّجه إلى المعامل؛ للبحث والتّجريب، ولكنه يبدأ من الكشوف الكونيّة على أيدي العلماء -مسلمين وغير مسلمين- ثُم يتّجه إلى الآيات القرآنيّة؛ لتطابقها وتوضّحها، وتشرحها، مصداقًا لقوله -تعالى-: "ولتعلمنّ نبأه بعد حين" [سورة ص] وتمشيًا مع سنن الله -سبحانه، وتعالى- في إظهار آياته الكونيّة الّتي يشير إليه قوله -سبحانه، وتعالى-: "سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتّى يتبيّن لهم أنّه الحق" [سورة فصلت]؛ فالبحث العلميّ يبدأ من الكون المنظور، ثُمّ يتّجه إلى آيات الله المسطورة، وهي القرآن الكريم، ويشرح معانيها، فيما يُعرف بالتّفسير العلميّ للقرآن الكريم.

٤- لا بأس -إن أمكن- من السّير في الاتّجاه العكسيّ للمسار العلميّ، حيث نبدأ من بعض الإشارات العلميّة بالقرآن الكريم، وهذا يحتاج إلى إمكانات بحثيّةٍ ضخمةٍ، ويحتاج إلى قناعةٍ بجدوى ذلك المسار العلميّ في الاتّجاه المعاكس، ويمكننا أن نسّمي ذلك "التّطبيق التّجريبيّ للإعجاز العلميّ" وأسهل منه في مجال الاكتشافات الكونيّة ذلك المسار الّذي يتحرّك من الاكتشافات الكونيّة، ويتّجه نحو الإشارات العلميّة الواردة في القرآن الكريم؛ لتنجلي، وتنكشف الحقائق بالآيات القرآنيّة.

وبهذا نسير أحد المسارين العلميّين في خدمة الإعجاز العلميّ للقرآن الكريم الّذي يقوم بدوره بدعم الإيمان بمعجزةٍ القرآن ومصداقيّته كوحي من الله –سبحانه، وتعالى- نزل على رسولنا محمّد -صلّى الله عليه، وسلّم-.

*التّعقيب:

- المصالح الّتي يعرضها النّصّ جاءت بين العزلة والصّراع، وقد جاء الحكم بالعزلة كون المصالح المعروضة ذات مرجعيّةٍ عقديةٍ عقائديّةٍ فئويّةٍ تخصّ المسلمين مرجعيّتها القرآن الكريم، وقد جاءت هذه المصالح من دون قرائن إلزام للآخرين؛ لذلك كان الحكم عليها بمصالح عزلة.

والمصالح المعروضة صراعيّةٌ كذلك مع فئة المعترضين على الإعجاز العلميّ ممّن يشملهم الاعتراض الثّامن: لاحظ مصالح: "الاعتراض الثّامن: ويتمثّل في قولهم إذا كان القرآن الكريم كلّ هذه الإشارات العلميّة، فلماذا لم يستفد منها المسلمون على مرّ العصور؟".

يُورد النّصّ ما يلي: "المسار العلميّ؛ للتعرّف على ما تحمله الإشارات العلميّة للقرآن من معارف كونيّةٍ لايبدأ من النّصوص القرآنيّة، ثُمّ يتّجه إلى المعامل؛ للبحث والتّجريب، ولكنّه يبدأ من الكشوف الكونيّة على أيدي العلماء -مسلمين وغير مسلمين- ثُمّ يتّجه إلى الآيات القرآنيّة؛

لتطابقها، وتوضّحها، وتشرحها، مصداقًا لقوله -تعالى- "ولتعلمنّ نبأه بعد حين" [سورة صاد]".

أقول كيف يكون إعجازًا قرآنيًّا مُلزما للآخرين، وهو لا ينطلق من دلالة النّصّ القرآنيّ؟!

فإذا انطلق من الكشوف الكونيّة عندها يكون بمنزلة تصنيع للدّلالة المطلوبة والمعروفة سابقًا، فأيّة فائدةٍ وأيّ إعجازٍ عندئذٍ؟!

من صفات المنهج العلميّ أن تكون الواقعة قابلةً للاختبار والتّجريب ومتاحةً لعموم النّاس؛ لمعاينتها، وتحييد الخلفيّة الثّقافيّة والنّفسيّة والعقائديّة للباحث هومن شروطِ البحث العلميّ.

ما يجعل "الإعجاز العلميّ في القرآن الكريم" حقيقةً مُثبتةً علميًّا هو أنّ يكون قابلًا للتّجريب من قبل أيًّا كان أن يكون مشاعًا للنّاس، وهذا يقتضي وجود دلالةٍ دقيقةٍ للآيات القرآنيّة يمكن الانطلاق منها؛ لاختبار صحّتها في في الواقع، هذا هو المسار البرهانيّ الوحيد الممكن؛ فالإعجاز العلميّ معناه ضمنًا إعجاز البشر بالمعارف الّتي من المفترض أن يكون القرآن الكريم قد سبق بها المعارف العلميّة المثبتة حديثًا. فالإعجاز العلميّ سبقٌ تاريخيٌّ بالضّرورة، وماعدا ذلك، فهو ليس إعجازًا، وليس علمًا، بل تلفيقًا ليس أكثر.

الفقرة الثّالثة عشرة:

*النّصّ: "الاعتراض التّاسع: وهو أنّ القول بالإعجاز العلميّ ينقصه شرط التّحدّي، وينقصه أن يكون من جنس ما برز فيه الموجّه لهم التّحدّي."

أمّا عن القول الأول، أي: مجيء تحدّيه بالمثليّة: "فأتوا بسورةٍ من مثله..."[سورة البقرة] فإنّ الإعجاز العلميّ يدخل في المثليّة، كما أنّ المعجزة ليست قائمةً على التّحدّي والمعاجزة فحسب، بل إنّها تتحقّق بمجرّد تفرّدها عن المألوف بما يؤكّد أنّها من عند الله -سبحانه، وتعالى-؛ تأييدًا لرسوله -صلّى الله عليه، وسلّم-... والإعجاز العلميّ حقّق ذلك الغرض، خاصّةً في القرون التّالية لعصر نزول القرآن؛ حيث إنّ القرآن جاء معجزة لكلّ النّاس في كلّ الأزمان، والعرب وقت نزول القرآن كان تحدّيهم بالبلاغة والبيان، وهذا وجهٌ من وجوه الإعجاز، وفي عصور التّقدّم في العلوم الكونيّة ظهر الإعجاز فيما يحمله القرآن من حقائق علميّة غير مسبوقةٍ؛ فالإعجاز العلميّ إذ لم يأت؛ ليتحدّى من نزل فيهم القرآن فحسب، ولكن جاء؛ لتشهد القرون من بعدهم على أنّه وحيٌ من عند الله، وذلك من مقاصد المعجزة كما قلنا."

*التّعقيب:

يعرض النّصّ لمصالح صراعيّةً مع المعترضين على الإعجاز العلميّ ممن يشملهم الاعتراض التّاسع: "الاعتراض التّاسع: وهو أنّ القول بالإعجاز العلميّ ينقصه شرط التّحدّي، وينقصه أن يكون من جنس ما برز فيه الموجّه لهم التّحدّي."

_ المصالح الّتي يعرضها النّصّ حول شرط التّحدّي كحجّةٍ يسوقها المعارضين للإعجاز العلميّ صالحةٌ؛ فالتّحدّي المزامن للبَعثة النّبويّة ليس شرطًا لإثبات الإعجاز، ولكنّ التّحدّي الحقيقيّ في الإعجاز العلميّ هو إثباته عمليًّا بمعايير العلم وعموم النّاس، وليس بالاستناد إلى رواياتٍ وحجّجٍ ذات مرجعيّةٍ عقديّةٍ عقائديّةٍ فئويّةٍ تخصّ المؤمنين فقط.

_ تُورد المصالح المعروضة ما يلي: وفي عصور التّقدّم في العلوم الكونيّة ظهر الإعجاز فيما يحمله القرآن من حقائق العلميّة غير مسبوقة.

وهذا القول ليس بحجّةٍ أو برهان، بل هو جملةٌ خبريّةٌ تؤكّد لفظيًّا دعاواها، تفتقر للقرائن والبرهان.

الفقرة الرّابعة عشرة:

*النّصّ:"الاعتراض العاشر: يتمثّل في قولهم المعارف الكونيّة الواردة بالقرآن هي من قبيل ذكر الظّواهر الكونيّة الّتي يعرفها عامّة النّاس،

كتعاقب الليل والنّهار وحركة الشّمس، وليس في ذلك إعجازٌ علميّ. المعارف الواردة بالقرآن الكريم عن الظّواهر الكونيّة تختلف تمامًا عن تلك الّتي يعرفها عامّة النّاس بالفطرة، والّتي هي من قبيل المعارف الظّاهريّة. وعلى سبيل المثال، يعرف النّاس ظاهرة الليل والنهار وتعاقبهما، ولكن القرآن عندما يتناول هذه الظاهرة المألوفة للنّاس جميعًا، فإنّه يتحدّث عنها بدقّةٍ علميّةٍ مستخدمًا كلماتٍ تكمن فيها الإشارات العلميّة الّتي تكون مجهولةً حتّى للمتخصّصين قبل اكتشافها. قال الله -سبحانه، وتعالى- في شأن تعاقب الليل والنّهار- "يكوّر الليل على النّهار ويكوّر النّهار على الليل" [سورة الزمر]

وقال تعالى: "وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون.." [سورة يس]

وقال تعالى: "تولج الليل في النهار وتولج النّهار في الليل" [سورة آل عمران]

فالتّكوير تعبيرٌ عن التفاف الليل على النّهار والتفاف النّهار على الليل في تعاقبهما. وفي ذلك إشارةٌ علميّةٌ إلى كرويّة الأرض، وهذا ما فهمه العلماء من هذه الآية... و"نسلخ" وصفٌ لتعاقب الليل والنّهار بانتزاع النّهار من الليل، وقد شاهد هذا المنظر في الواقع، روّاد الفضاء عندما نظروا إلى الأرض وإلى الليل والنّهار.

ومثالٌ آخر للمألوف من الظّواهر الكونيّة، وهو عن حركة الشّمس الظّاهريّة؛ فالنّاس يدركون هذه الظّاهرة منذ أن وجدوا، ولكن القرآن الكريم يصف حركةً حقيقةً للشّمس في قول الله -تعالى-: "والشّمس تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم" [سورة يس].

فالفعل "تجري" لا يدلّ على الحركة الظّاهريّة الّتي يراها النّاس، وهي شروق الشّمس وغروبها، بل هو يدلّ على حركةٍ حقيقةٍ عظيمةٍ المعدّل تستق تعبير "الجري"، وهذا ما توصّل إليه العلماء في عصرنا الحاضر.

ونلفت نظر المعارضين إلى ذلك التّفاوت بين معارف العامّة للظّواهر الكونيّة وبين حديث القرآن عنها؛ حتّى يدركوا مفهوم الإعجاز العلميّ والإشارات الكونيّة بالقرآن الكريم. وما ذكرناه من أمثلة إنّما هو عن الظّواهر الكونيّة المألوفة للعامّة، ولكن هناك الكثير والكثير في القرآن الكريم عن المعارف الكونيّة الّتي يجهلها المتخصّصون، وجاءت كإشاراتٍ علميّة بآيات القرآن الكريم، فليعلم المعارضون ذلك جيّدًا...!! " .

*التّعقيب:

- المصالح المعروضة تتراوح بين العزلة والصّراع، وقد جاء الحكم بمصالح العزلة كون المصالح المعروضة ذات مرجعيّةٍ عقديّةٍ عقائديّةٍ فئويّةٍ مرجعيّتها القرآن الكريم، وتخصّ المسلمين، ومن دون قرائن إلزامٍ صريحةٍ للآخرين بهذه المرجعيّة، ويعرض النّصّ كذلك لمصالح صراعٍ مع

المعترضين على الإعجاز العلميّ ممّن يشملهم الاعتراض العاشر: "الاعتراض العاشر: يتمثّل في قولهم المعارف الكونيّة الواردة في القرآن هي من قبيل ذكر الظّواهر الكونيّة الّتي يعرفها عامّة النّاس، كتعاقب الليل والنّهار وحركة الشّمس، وليس في ذلك إعجازٌ علميّ".

_ يعرض النّصّ لمصالح متناقضةٍ مع سياقها، لنلاحظ مثلًا: "ولكن القرآن عندما يتناول هذه الظّاهرة المألوفة للنّاس جميعًا، فإنّه يتحدّث عنها بدقّةٍ علميّةٍ مستخدمًا كلماتٍ تكمن فيها الإشارات العلميّة الّتي تكون مجهولةً حتّى للمتخصّصين قبل اكتشافها."

كيف يتحدّث القرآن عن ظواهر طبيعيّةٍ بدقّةٍ علميّةٍ دون استخدام لغةٍ علميّةٍ مصطلحيّةٍ دقيقةٍ الدّلالة، وكيف تكون الدّقة العلميّة بوجود فقط "إشارات" -وليس تصريحات- مجهولة حتّى للمختصّين "قبل اكتشافها"!

فاللغة تواصلٌ، وقد ورد وصف القرآن الكريم "بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ" فكيف يكون لسانًا عربيًّا مبيّنًا، وكيف تصفه المصالح المعروضة بالدّقّة العلميّة، وقد كانت دلالته مجهولةً عصيَّةً حتّى على المتخصّصين في القرآن واللغة وعلم الفلك طوال أكثر من ألف عام!

- يعرض النّصّ لما يلي: "ومثالٌ آخر للمألوف من الظّواهر الكونيّة وهوعن حركة الشمس الظاهرية، فالنّاس يدركون هذه الظاهرة منذ أن وجدوا، ولكن القرآن الكريم يصف حركةً حقيقةً للشّمس في قول الله تعالى: "والشّمس تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم" [سورة يس] فالفعل "تجري" لا يدلّ على الحركة الظّاهريّة الّتي يراها النّاس، وهي شروقٍ الشّمس وغروبها، بل هو يدلّ على حركةٍ حقيقةٍ عظيمةٍ المعدّل تستق تعبير "الجري"، وهذا ما توصّل إليه العلماء في عصرنا الحاضر."

وكتعقيبٍ على ذلك نقول: المصالح الّتي يعرضها النّصّ السّابق للدّكتور كارم السّيّد غنيم يضيف تفصيلاتٍ ومعلوماتٍ جديدةٍ لم ترد في الآية القرآنيّة أصلًا، وهي:

١- التّمييز بين الحركة الظّاهريّة والحركة الحقيقيّة للشّمس.

٢-إضافة توصيف "حركةٌ حقيقةٌ عظيمة المعدّل".

٣-لا تخبرنا النّصّ ما المقصود بـ"وهذا ما توصّل إليه العلماء في عصرنا الحاضر."

فالمصالح المعروضة في الآية القرآنيّة تكتفي بتعبيرٍ "تجري" إلى مستقرٍّ. وهذا يمكن تأويله باتّجاهاتٍ متعدّدةٍ قريبةٍ أو بعيدةٍ، ممكنةٍ أو متعسّفةٍ، تبعًا للقارئ ولعوامل كثيرةٍ أخرى. والجري ليس بالضّرورة أن

يكون لحركةٍ عظيمة المعدّل؛ ففي الرّياضة نستخدم تعبير سباق الجري لمسافة ١٠٠ مترٍ مثلًا! والتّفسيرات الّتي يسوقها المفسّرون والمنسوبة للنّبيّ الكريم قد تعطي دلالاتٍ معاكسةٍ لما يقوله الإعجازيّيون منها: عن أبي ذرّ -رضي الله عنه- قال:" كنت مع النّبيّ -صلّى الله عليه، وسلّم- في المسجد عند غروب الشّمس، فقال يا أبا ذر أتدري أين تغرب الشّمس، قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّها تذهب حتّى تسجد تحت العرش، فذلك قوله- تعالى- "والشّمس تجري لمستقرٍّ لها ذلك تقدير العزيز العليم ." "٤" أو كما ورد في آيةٍ قرآنيّةٍ أخرى "فلما بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة " الكهف الآية ٨٦

ووفقًا لتفسير الطّبريّ: "تغرب في عين ماءٍ حارّة." "٥" ووفقًا للبعض فقد تكون العين الحمئة هي المقصود بالمستقرّ! _يُورد النّصّ ما يلي:" المعارف الواردة بالقرآن الكريم عن الظّواهر الكونيّة تختلف تمامًا عن تلك الّتي يعرفها عامّة النّاس بالفطرة، والّتي هي من قبيل المعارف الظّاهريّة."

وكتعقيبٍ على ذلك نقول: كيف تختلف تمامًا عن معارف النّاس بالفطرة، ولم يتمّ معرفة هذا الاختلاف "التّام" من قبل العرب العارفين باللسان، ولم يكن حافزًا لهم على كشف هذا الاختلاف التّام أو الإحساس به!

_ مثال الليل والنّهار الورد في الآيات المستشهد بها، جاء في صيغةٍ مجازيّةٍ وبلاغيّةٍ تتنافى مع ضبط المصالح العلميّة، يُورد الكاتب:" فالتّكوير تعبيرٌ عن التفاف الليل على النّهار والتفاف النّهار على الليل في تعاقبهما. وفي ذلك إشارةٌ علميّةٌ إلى كرويّةٍ الأرض، وهذا ما فهمه العلماء من هذه الآية.

وكتعقيبٍ على ذلك نقول:

_ لم يرد توصيف الأرض بالكرويّة أو الكرة في القرآن الكريم، وهذا ما ينقص التّأويل السّابق للآية القرآنيّة، رغم أنّ كلمة الأرض، وكلمة كرة وكرويّة عربيّتان واضحتا الدلالة مستخدمتان قديمًا وحديثًا، ورغم أنّه حتّى قبل البعثة النّبويّة وجد علماء من أهل الاختصاص عند الإغريق مثلًا من قال، وأثبت كرويّة الأرض " إراتوستينس ت: ١٩٤ ق.م" "٦" فهل عقول النّاس لا تحتمل مثل هذه "المعلومة" حتّى ترد في القرآن الكريم صراحةً، وينتهي الجدال في ذلك من وجهة نظرٍ عقائديّةٍ وإلى الأبد! ولكن حتّى لوورد تعبير"كرويّة الأرض" في القرآن الكريم، فذلك ليس بحجَّة في حقل العلم؛ لكونه جاء بمعزلٍ عن البراهين الملزمة لعموم النّاس وأهل الاختصاص في علم الأرض والفلك، وكما أشرنا هذه ليست وظيفة القرآن الكريم، فهو ليس بكتابٍ متخصّصٍ في علوم الأرض والفلك.

إنّ البحث في شكل الأرض -كما تناولها السّياق القرآنيّ- يقتضي من الباحث الجادّ مناقشة كلّ الآيات القرآنيّة الّتي تشير إلى هذا الموضوع، فهناك آياتٌ قرآنيّةٌ يردّ فيها أوصاف أخرى للأرض منها "جعل لكم الارض فراشًا، وهوالّذي مدّ الارض، الّذي جعل لكم الارض مهادا، أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها ..إلخ" والدّلالات السّابقة تميل إلى وصف الأرض بالجسم المسطّح، وليس الكرويّ "فراش، مدّ، مهاد، ننقصها من أطرافها"، وهذا يناسب حال الخطاب القرآنيّ والحثّ عن التّأمّل والتّفكّر العيانيّ القريب للبشر بعامتهم، ولكي لا نصل إلى نتائج مناقضةٍ لفرضيّة الإعجازيّين، نتائج قد تشكّك المؤمنين في القرآن الكريم، أرى أن ننأى بالقرآن الكريم عن هذا المقاربات التّفسيرية على طريقة الإعجازيّين.